فوائد البلوى والمحن

في

السنة المطهرة

تأليف

أ.د. بندر بن نافع العبدلي

أستاذ السنة وعلومها

جامعة القصيم





مقدمة

الحمد لله مفرِّج الهموم، ومبدِّد الأحزان والأشجان والغموم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، ملاذ الهاربين، وسلوان المصابين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد المتوكلين، وإمام المتقين، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين.

أما بعد.

فإن الابتلاء حكمة إلهية وسنة ربانية لكنه يحمل في طياته جملًا من الفوائد ودررا من العوائد والفرائد، لا يدركها كثير من الناس.

ولأهمية إبراز ما فيها من فوائد جاءت هذه الرسالة لتكون نبراسًا للمتعافين، وسلوانا للمصابين، وليتذكروا بمصائبهم وبلواهم ما فتحه عليهم أكرم الأكرمين، وما ادخره لهم رب العالمين، فتهون عليهم المحن والبلوىٰ، وتزكوا نفوسهم بالإيمان بالقدر والرضىٰ.

وقبل الشروع فيها يقال:

تعريف البلوىٰ:

البلوىٰ من الابتلاء

قال ابن فارس: «الباء واللام والواو والياء، أصلان: أحدهما إخلاق الشيء، والثاني نوعٌ من الاختبار،...وأما الأصل الآخر فقولهم بلي الإنسان وابتلي هذا من الامتحان، وهو الاختبار»[١].

وقال الجوهري: «بلوته بلوا: أي جربته واختبرته، وبلاه الله بلاء وأبلاءً وأبلاه إبلاء حسنا، وابتلاه: اختبره، والتبالىٰ: الاختبار... والبلاء: الاختبار ويقال: أبلاه الله بلاء حسنا. وابتليته معروفًا»[٢].

والمحن: الاختبار، ومحنه وامتحنه [٣].

فالبلوىٰ والمحن إذا: هي الامتحان والاختبار.



(١) معجم المقاييس في اللغة: ص: (١٥٢).
(٢) الصحاح: (٦/ ٢٨٨).
(٣) معجم مقاييس اللغة ص: (٩٧٦).



الفائدة الأولى
التضرع والدعاء

من فوائد البلوىٰ والمحن ظهور التضرع بالدعاء إلىٰ الله عز وجل في حق من ابتلي بشيء من البلايا، فإنه مع وقوع الأذىٰ والضرر عليه يطلب من يتعلق به فلا يجد شيئًا نافعًا له سوىٰ دعاءه ربه سبحانه وبحمده، فيلجأ إليه ويستمسك به.

[١] عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدعاء هو العبادة**»[١].

[٢] وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا فدعا به يفرّج الله عنه**»، فقيل له: بلىٰ، دعاء ذي النون «**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**»[٢].

---

(١) **أخرجه أحمد**: (١٨٣٥٢)، (١٨٣٨٦)، (١٨٣٩١)؛ **والترمذي**: (٢٩٦٩)، (٣٢٤٧)؛ **وابن ماجه**: (٣٨٢٨) من طريق الأعمش – زاد **أحمد**: (١٨٣٥٢)، **والترمذي** (٣٢٤٧) – **ومنصور**، **وأبو داود** (١٤٧٩)، **وابن حبان**: (٨٩٠)، **والحاكم**: (١/ ٤٩٠) من طريق منصور، كلاهما عن ذر، عن يسيع الحضرمي، عن النعمان بن بشير فذكره.
وإسناده صحيح، قال **الترمذي**: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه أحمد: (١٤٦٢)، والترمذي: (٣٥٠٥) من طريق يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن سعد فذكره، وهو عند أحمد مطولًا.
والحديث فيه علة أشار إليها الترمذي في سننه.

[٣] وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا**».

قال: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: «**بلىٰ ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها**»[(١)].

۞ الدعاء سلاح المؤمنين، وهو الصلة بينهم وبين ربهم رب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال ابن القيم: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن،...

وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوىٰ من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوىٰ عليه البلاء فيصاب به العبد، ولكنه قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٧١٢) من طريق فضيل بن مرزوق، حدثنا أبو سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود فذكره.
وإسناده ضعيف، أبو سلمة الجهني مجهول كما قال الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٠١).
(٢) الداء والدواء ص: (٧- ٨).

أيها المسلم:

إذا وقع بك بلاء، أو نزل بك مرض وداء فالجأ إلىٰ ربك وتضرع إليه، وأظهر الافتقار والانكسار بين يديه، واسأله أن يكشف ما حل بك.

قال ابن القيم: «إذا جمع مع الدعاء حضور القلب، وجمعيته بكليته علىٰ المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة علىٰ المنبر حتىٰ تقضىٰ الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم...فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا»[(١)] .

۞ **ويتأكد** الدعاء زمن الفتن، فإن اللجوء إلىٰ الله برفع البلاء منحة ربانية، وهبة إلهية، للهداية والتوفيق.

قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «تكون فتنة لا ينجي منها إلا دعاء كدعاء الغريق».

وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ليأتين علىٰ الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا كدعاء الغريق»[(٢)].



(١) **الداء والدواء** ص: (١٠).
(٢) **حلية الأولياء**: (١/ ٢٧٤).



الفائدة الثانية

الصبر عليها

[٤] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لهم حين نفذ كل شيء أنفق بيديه: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**» متفق عليه(١).

[٥] وعن صهيب بن سنان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**» رواه مسلم(٢).

[٦] وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**» رواه مسلم(٣).

---

(١) **صحيح البخاري: (١٤٦٩)، ومسلم: (١٠٥٣).**
(٢) برقم (٢٩٩٩).
(٣) برقم (٢٢٣).



[٧] وعن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا. متفق عليه[1].

والصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته — لكن عواقبه أحلىٰ من العسل

من أعظم المنح الإلهية، والعطايا الربانية أن يوفِّق المولىٰ سبحانه عبده إلىٰ هذا الخلق الكريم عند نزول البلاء، فينشرح صدره ويطمئن فؤاده، ويحصل علىٰ الأجر والثواب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وتأمل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**» لأنه مع الصبر يتحمل ما يقع عليه من بلاء ومحنة وغيرهما فيهدأ باله، وتطمئن نفسه فلا يغضب ولا يجزع.

وهذه الحال هي حال المؤمن، وهي حال يتعجب منها علىٰ وجه الاستحسان، وهي خير له، ولذا قال: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ... وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له».

ثم انظر إلىٰ فضيلة الصبر في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والصبر ضياء**» فيه نور لكنه نورٌ مع حرارة لشدة ما يلاقيه الصابر من تعب وعناء.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومن يتصبّر يصبّره الله**» دليل علىٰ أن العبد إنما يقع له اكتساب الصبر بتصبير نفسه، فمتىٰ تصبَّرت أيها المسلم فإن الله يصبِّرك ويعينك علىٰ الصبر.

---

(١) صحيح البخاري: (٥٦٥٢)، ومسلم: (٢٥٧٦).

فإن لم تفعل لاسيما عند الصدمة الأولىٰ فإنك ولا بد سوف تسلو سلو البهائم، ويفوتك ما أعد لك من الثواب والأجر.

وقد قيل:

إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة فأفرغ لها صبرًا ووسِّع لها صدرًا
فإن تصاريف الزمان عجيبة يوما ترىٰ يسراً ويومًا ترىٰ عسراً

قال ابن القيم: «هذه ثلاثة أشياء تبعث المتلبس بها علىٰ الصبر في البلاء:

إحداها: «ملاحظة حسن الجزاء»: وعلىٰ حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء لشهود العوض، وهذا كما يخف علىٰ كل متحمل مشقة عظيمة حملها لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها، ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة، وما أقدم أحد علىٰ تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، فالنفس موكلة بحب العاجل.

والثاني: «انتظار روح الفرج» يعني راحته ونسيمه ولذَّته، فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة، ولاسيما عند قوة الرجاء أو القطع بالفرج، فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ما هو من خفي الألطاف وما هو فرج معجَّل.

والثالث: «تهوين البلية بأمرين»:

أحدهما: أن يَعِدَّ نعم الله عليه وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدها وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه بالنسبة إلىٰ أيادي الله ونعمه كقطرة من بحر.

الثاني: تذكر سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه، فهذا يتعلق بالماضي وتعداد أيادي المنن يتعلق بالحال وملاحظة حسن الجزاء وانتظار روح الفرج يتعلق بالمستقبل، وأحدهما في الدنيا والثاني يوم الجزاء»[١].



(١) مدارج السالكين: (٢/ ١٦٦).



الفائدة الثالثة

الفرح بها

[٧] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ: «**إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَىٰ بِالْفَقْرِ، حَتَّىٰ مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ**»(١).

الفرح لوقوع المصيبة إنما هو بالنظر إلىٰ الفوائد المترتبة عليها، وهذا هو الذي استقر في قلوب أهل الإيمان وصار حالهم كما في الحديث.

(١) **أخرجه ابن ماجة**: (٤٠٢٤) من طريق ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فذكره.
وإسناده لا بأس به، هشام بن سعد فيه ضعف يسير، وقد قال عنه ابن حجر في «التقريب» ص: (١٠٢١): «صدوق له أوهام ورمي بالتشيع».
والحديث قال عنه في الزوائد (٣/ ٢٤٨): «إسناده صحيح».
وأخرجه أحمد: (١١٨٩٣) من طريق معمر، عن زيد بن أسلم، عن رجل، عن أبي سعيد بنحوه، وفيه راو لم يسم.

ووجه ذلك أن العبد إذا وقع به البلاء علم أن بعده الرخاء ففرح بما ينتهي إليه بلاؤه من رخاء.

قال العلامة ابن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلىٰ ثمرتها وفائدتها، كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها مع تجرُّعه مرارتها»[١].

وقال وهب بن منبه: «لا يكون الرجل فقيها كامل العقل حتىٰ يفرح بالبلاء، لأنه يعلم أن وراء البلاء رخاء»[٢].



(١) **فوائد البلوىٰ والمحن**: ص: (١٢- ١٣).
(٢) **عدة الصابرين**: ص: (١٢٢).



الفائدة الرابعة
تكفيرها للذنوب والخطايا

[٨] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهم، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حزْنٍ، وَلاَ أَذًىٰ، وَلاَ غَمٍّ حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» متفق عليه[١].

[٩] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كُفّر بها عنه حتىٰ الشوكة يشاكها**» متفق عليه[٢]، واللفظ لمسلم.

وفي رواية له: عن الأسود قال: دخل شباب من قريش علىٰ عائشة وهي بمنىٰ وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خرَّ علىٰ طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت لا تضحكوا فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**»[٣].

(١) صحيح البخاري: (٥٦٤١- ٥٦٤٢)، ومسلم: (٢٥٧٣).
(٢) صحيح البخاري: (٥٦٤٠)، ومسلم: (٢٥٧٢/ ٤٩).
(٣) صحيح مسلم: (٢٥٧٢/ ٤٦).

[١٠] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ وَالْفَاجِرُ كَالأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللهُ إِذَا شَاءَ**» متفق عليه[١].

[١١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ: «**أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلاَّ حَاتَّ اللهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ**» متفق عليه[٢].

[١٢] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**» رواه البخاري[٣].

[١٣] وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها**» رواه مسلم[٤].

[١٤] وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على أم السائب -أو أم المسيب- فقال: «**ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين**»؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد» رواه مسلم[٥].

---

(١) صحيح البخاري: (٥٦٤٤)، ومسلم: (٢٨٠٩).
(٢) صحيح البخاري: (٥٦٤٧)، ومسلم: (٢٥٧١).
(٣) برقم (٥٦٤٥).
(٤) برقم (٢٥٧٤).
(٥) برقم (٢٥٧٥).

[١٥] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتىٰ يلقىٰ الله وما عليه خطيئة**» رواه الترمذي وصححه[١].

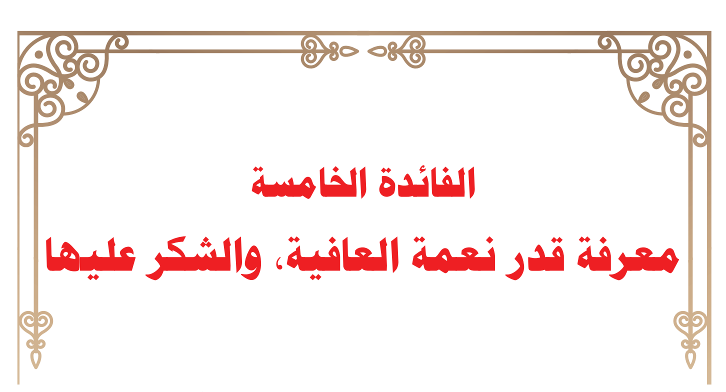
في هذه الأحاديث دليل علىٰ أن المصائب والمحن كفارات للذنوب والخطايا وأنها للقلوب بمنزلة المطهرات للأبدان واللباس.

وهذا من رحمته سبحانه بهذه الأمة أن العبد لا يقع عليه بلاء ولو كان يسيرًا إلا كان له به أجر.

قال القرطبي: «ومقصود هذه الأحاديث: أن الأمراض والأحزان وإن دقت والمصائب وإن قلت أُجِرَ المؤمن علىٰ جميعها، وكفَّرت عنه بذلك خطاياه حتىٰ يمشي علىٰ الأرض وليست له خطيئة، كما جاء في الحديث الآخر، لكن هذا كله إذا صبر المصاب واحتسب، وقال ما أمر الله تعالىٰ به في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ فمن كان كذلك وصل إلىٰ ما وعد الله به ورسوله من ذلك» اهـ[٢].

وقال: في قوله: «قاربوا وسددوا» أي: قاربوا في أفهامكم وسدِّدوا في أعمالكم ولا تُقِلوا، ولا تشددوا علىٰ أنفسكم، بل بشروا واستبشروا بأن الله تعالىٰ بلطفه قد جعل المصائب التي لا ينفك عنها أحد في هذه الدار سببًا لكفارة الخطايا والأوزار، حتىٰ يرد عليه المؤمن يوم القيامة وقد خلَّصه من تلك الأكدار، وطهره من أذىٰ تلك الأقذار، فضلًا من الله ونعمة، ولطفًا ورحمة»[٣].

(١) برقم (٢٣٩٩) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
(٢) **المفهم**: للقرطبي (٦/ ٥٤٦).
(٣) **المفهم**: (٦/ ٥٤٧).



الفائدة الخامسة

معرفة قدر نعمة العافية، والشكر عليها

العافية من أجل نعم الله علىٰ عبده وأجزل عطاياه وأوفر منحه، ولا يعرف قدرها إلا من ابتلي بفقدها:

لا يعرف العبد إذا لم يبتلىٰ يومًا ما موضع العافية.

وحينئذ فإنه يشكر الله عز وجل عليها ويقوم لله بما أوجبه عليه.

ولأهمية العافية كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل ربه إياها ويتعوذ بالله من زوالها.

[١٦] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**» رواه مسلم[١].

[١٧] وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِىٰ وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي**

(١) برقم (٢٧٣٩).

وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[١].



(١) **أخرجه أبو داود**: (٥٠٧٤)، **والنسائي**: (٨/ ٢٨٢)، **وابن ماجة**: (٣٨٧١)، **وأحمد**: (٢/ ٢٥) من طريق عبادة بن مسلم، عن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر فذكره. وإسناده صحيح.



الفائدة السادسة
الرضا الموجب لرضوان الله سبحانه

[١٨] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»[١].

رضوان الله عز وجل علىٰ العبد هو غاية الغايات، لأن العبد إذا رضي عنه ربه رفعه درجات وأوصله إلىٰ أعلىٰ الكمالات، وهو النظر إليه سبحانه في الجنات، والرضىٰ جنة الدنيا.

قال ابن القيم: «فالإيمان بالقدر والرضىٰ به يُذهِب عن العبد الهم والغم والحزن»[٢].

فالمحن تنتج الرضا الموجب لرضوان الله سبحانه، لمن رضيها، فيحصل له بذلك الأنس والطمأنينة وتهون عليه المصيبة.

---

(١) **أخرجه الترمذي**: (٢٣٩٦)، **وابن ماجة**: (٤٠٣١) من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس فذكره.
وفي إسناده ضعف، لحال سعد بن سنان.
وقد قال **الترمذي**: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) **مدارج السالكين**: (٢/ ٢٢١).



الفائدة السابعة
ما تحمله في طياتها من الفوائد الخفية

في المحن والمصائب فوائد خفية قد لا يدركها العبد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

وقد قيل: «كم منحة في محنة».

وقيل: «المحن وعاء المنح».

وقيل:

كم نعمة مطويَّة   لك بين أثناء المصائب

قال ابن القيم: «فمن صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقينا أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب»[١].

اللهم ارزقنا الشكر عند النعماء، والصبر علىٰ البلاء، يا رب العالمين.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) **الفوائد**: كما في «ترتيبه» ص: (١٧٠).



فهرس المصادر

- الداء والدواء أو الجواب الكافي لابن القيم، تحقيق بشير عيون، ط/ مكتبة المؤيد – الرياض، الثالثة (١٤١٤هـ).
- الصحاح الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- الفوائد، لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣.
- المُفْهِمْ، لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تلخيصِ كتابِ مُسْلِمْ،، ت/ محي الدين مستو، وآخرين، ط/ دار ابن كثير – بيروت (١٤١٧).
- بحث فوائد البلوىٰ والمحن
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥
- سنن ابن ماجة، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي،ط/ دار إحياء الكتب العربية– القاهرة.

- سنن الترمذي(الجامع الكبير)،ت/ د. بشَّار عواد، ط/ دار الجيل – بيروت (١٩٩٨م).
- سنن النسائي الصغرى، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، ط/ دار المطبوعات الإسلامية – بيروت (١٤٠٩).
- سنن أبي داود، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ المكتبة الإسلامية - استنبول.
- صحيح البخاري – مع شرحه فتح الباري – ت/ محمد فؤاد عبد الباقي،ط/ المكتبة السلفية - مصر
- صحيح مسلم ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ المكتبة الإسلامية – استنبول.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣
- معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، تحقيق / شهاب الدين أبو عمرو، ط/ دار الفكر - بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.





فهرس الموضوعات.

